على ان كل جهد تبذلهُ الحكومة في هذا السبيل يجب ان يكون مسبوقاً بايفاد بعثة علمية لاختبار البحر الاحمر من حيث محتوياتهُ سواء الاسماك او خلافها وفي نية الحكومة ان تعمل ذلك قريباً

واني اختم كلمتي بان ابتهل اليهِ تعالى ان يحفظ بعنايتهِ الصمدانية صاحب الجلالة مليكنا المفدى الذي تفضل فشمل بفائق عنايتهِ وجليل رعايتهِ كل مشروع حيوي عائد بالنفع على رعاياهُ الامناء أخص بالذكر منها المشروعات الاقتصادية ذات الاثر في ازدياد ثروة البلاد . وان حكومة جلالتهِ لتعتمد على عطفهِ ورضائهِ العالي عما تنوي ان تقوم بهِ من الاعمال المحققة لعظيم الآمال وان نعمة الاستقلال التي انعم الله بها علينا وما ترتب عليها من القاء مقاليد امورنا في ايدينا سيجعلان الغاية الوحيدة التي تتجه اليها آمالنا وتنصرف في سبيلها جهودنا هي تكميل استقلالنا السياسي بوضع الاساس المتين لاستقلالنا الاقتصادي والمالي

اسمعيل صدقي باشا

المرأة الفارسية

قديماً وحديثاً

للمرأة في بلاد فارس تاريخ كبير الفصول عديد الصفحات يبتدىء اولهُ باوجه بيضاء لان اضاليل التاريخ لم تتوصل الى تسويد تلك الوريقات بما توحيهِ النفوس ذوات الغرض. ولم تتلاعب بالحقائق ايدي البشر وفقاً لاهوائهم ورغباتهم المتولدة فيهم قبل تدوين الوقائع لا بل قبل حدوثها. اجل ان تاريخ المرأة الفارسية متوغل في القدم يتجاوز الاعصر التاريخية . ففي تلك الازمنة المتوارية وراء افق الدهر المتصرم كان للمرأة في وطن الايرانيين ماض قوامهُ السنة الطبيعية سنة القوة . فكان الرجل يفتم خطيبتهُ بحولهِ وصولتهِ ويبقى الضعيف اعزب لا يتسنى لهُ الزواج شأن العاجز في مضمار تنازع البقاء . وكانت السيادة في الاسرة للزعيم الاكبر فيها كما كان الاضرار معروفاً في تلك الديار. ولم تذق المرأة مضض الحجاب في بلاد ايران في عهد البداوة بل كانت تسرح وتمرح في السهول والمروج وتتوغل في الجبال كالايل. ولم تزل تتجلى تلك الاخلاق حتى اليوم في المرأة الايرانية البدوية

زال دور الابطال وفات عهد الفرسان والفرسال وجنح اعقاب جمشيد وافريدون الى الحضارة والعمران فتطوّرت حال الفارسية بتطور الديار وسلبت المدنية منها تلك الحرية التي كانت تستنشق نسيمها البليل في فضاء ايران الرائع الجمال . وسجنت وراء الجدران ترصدها العيون ويرقبها الخصيان

ان الآثار الشاخصة والعاديات الباقية من عهد السلالة الكيانية خالية من ذكر المرأة في كتاباتها المنقورة على الصخر . ولا تشاهد صورة من صورها نقشها قلم ناقش او نحتها ازميل ماحت . فسكوت آثار الحجر عن المرأة خلّة في مدنية تلك الاجيال الزائلة

فان كانت آثار الحجر معطلة الجيد من حلية الجنس اللطيف وقد نات من اقام تلك الانصاب ونحت تلك الاحجار ان يذكر بنت ايران وينقش صورتها فلم يغفل المشترع القومي العظيم زرادشت الحكيم ان يرفق بحالها ويسنّ شرائع تكفل كيانها وتصون حقوقها

جاء في مصحف الفرس المقدس (الفاركارد الثالث من كتاب الوندیداد) : يجب على الرجل الصالح ان يبني لهُ بيتاً ويتخذ لنفسهِ امرأة واولاداً وناراً وقطيع ماشية وان يخضع لاصول الصحة وان يكون شجاعاً لصون اسرتهِ وحفظها من كلّ تعدّ خارجي وان يكون ذا مهنة ليكسب لها ضروريات الحياة . وان يكون سمحاً وصادقاً وعفيفاً وان يتمّ السعادة البيتية في اسرتهِ

ان عفاف المرأة وخضوعها التام لزوجها يعدان من اكبر الفضائل عندها . واخلالها بهما يعد خطيئة

وعلى كل فان الزوجة تعد مساوية زوجها في المنزلة الاجتماعية تتمتع بحرية العمل كل الحرية

ويرفق دين زرادشت بالعذراء التي يفوتها احد الشبان وينظر اليها بعين التسامح وان كانت الجريرة جديرة بالعقاب الاّ ان الله القدير يرمق برحمتهِ تلك البلية التي نزلت بالاسرة ويحظر على الابنة التي امست ضحية ذلك الاغراء ان تنتحر او تعمد الى احدى العجائز اللواتي يلممن بعلم العقاقير . اه

وعلى الاب ان يزوج ابنتهُ في السنة السادسة عشرة اذ الزواج يكثر خلائق او يزيد

وكان مذهب المجوس يجيز لهم الزواج بمحارمهم الادنين ويبيح تزوج الاخوات. ويظهر ان هذه الشريعة قديمة في عادات الفرس فانتهوا مشترعهم في دينه. كما انها كانت مألوفة عند غيرهم من الشعوب الشرقية المندثرة لاسيما عند قدماء المصريين

ولما ظهر مزدك اباح شيوع النساء وكان اتباعهُ على هذا المذهب حتى هلك وهلك معهُ مذهبهُ السقيم

كان في عهد الدولة الكيانية مراسيم للملكة. فكانت تعد ربة دار الحريم ويحق لها ان تضع التاج على رأسها وتستبد بسائر الزوجات. ولها حرم يخص بها وتحف بها حاشية من الموظفين والخدم. واذا كان لها بعض الخصال السامية كانت تزداد منزلتها رفعةً

ولم يسد على الملكة الاَّ والدة الملك. وكان بين جاعات النساء في دور الملوك والاشراف والقوّاد نساء يونانيات وغيرهن من الاقوام الذين كانوا يحاربونها ويأسرون بناتهم ونساءهم

ولم يمتنع الفرس من تزويج بناتهم من الملوك الغرباء عن بلادهم وشواهد التاريخ تؤيد هذا القول فاميتس امرأة نبوكدراصر كانت ماذية ولما بنى الجنان المعلقة وتزوّج اسكندر الكبير بروشنك ابنة الدهقان اوشرتا (Oxartes) البقطري

ان نساء بلاد ماذي وفارس جرين شوطاً بعيداً في ميدان السياسة وامتزج تاريخ حوادثهن بتاريخ المملكة امتزاج الماء بالراح. فلا يدوّن المؤرخ تلك الحوادث بدون ان يأخذ منهُ العجب مأخذهُ لالتقاء المختلفات واجتماع المتباينات في اخلاق شعب واحد وفي نزعة واحدة. فالمرأة الفارسية سجينة الاندرون (١) وبنت الحجاب تتبوأ عرش الدولة وتقبض على ازمة الاحكام والادارة وتقوم باعمال خطيرة. والذي كان قبل الاسلام وقع ايضاً بعدهُ. ولم يزل يعاد في تاريخ فارس من حين الى آخر

وما نقولهُ في المرأة واختلاف حالاتها يطلق على اميال الشعب الروحية وافكارهم الفلسفية ونزعاتهم الدينية. فبينما نرى هذا الشعب متعصباً كل التعصب تسمع بنشوء بدعة البابية والبهائية في تلك البيئة عينها وتتحقق وجودَ فئة من

(١) الاندرون دار الحريم

الشيبة ترمي الى الافكار الفلسفية البحتة على تضارب مذاهب اصحابها . كأن في الروح القومية الفارسية اوتاراً مختلفة الانغام كل وتر منها يسمعنا نغمة غير الاولى . ويشاهد هذا الحال في سير الامة تجاه ملكها اليوم فانها تكيل له الالقاب كيلاً وتتمتع باعظم النعوت واسماها بينما يحمل عليه الشعب والصحافة حملات شعواء لا يقبل عليها اكبر الشعوب واعرقهم في الديموقراطية وينتقصونه حقه ويجحفون بمنزلته بالفاظ قارصة وعبارات لاذعة

ان هذا التضاد في روح الشعب الفارسي لم يأتِ عفواً بل له اسباب بعيدة الغور وعلل نفسية وطبيعية واهمها ناشئ من اختلاف تكوين البلاد . فالفارسي الذي يشاهد في قطره كل صور الاقاليم والمناظر الطبيعية المختلفة جنباً لجنب لا يبعد ان تتأثر نفسه بتأثرات متباينة فهناك الجبال والاودية والسهول والجداول والانهر والمفاوز والبحيرات والابحر . هناك المرتفعات والمنخفضات . الحرارة شديدة والبرد قارسة . كل هذه المناظر الطبيعية عوامل فعالة في هبوط الوحي والالهام على النفوس وانشاء الشواعر وتوليد النزعات فيها

طال كلامنا في وصف الروح الفارسي وبيان صبغته مما كاد يخرجنا عن موضوعنا الا انها صفحة خطيرة من الحياة القومية لا تخلو من علاقة بموضوعنا . ولذا نسرد الآن بعض الحادثات التاريخية التي تظهر الطرف الفعال من المرأة في بلاد الاكاسرة

(١) اشتهرت كسندان امرأة قورش الكبير اي شهرة . فكتبة اليونان في تلك القرون يشيدون بذكرها وقد عرفت بسعة ادراكها وحصافة مداركها وعظمة نفوذها . وكان الملك يحبها ويكرم مثواها وعند موتها رثاها القوم بحرقة على طول البلاد وعرضها

وتوصلت ابنة قورش آتوسا بنفوذها العظيم الى تقليد ابنها احشويرش زمام الملك قبل وفاة ابيها ولم يرث الملك ابنه

وامستريس كنة احشويرش امرأة ابنه دارا كانت من دهاة الاناسة على الارض فهي التي احترقت حسداً لامها واخيضتها لسلطانها . وسامتها عذاباً مبرحاً واذ لم يصبر زوج امها وهو اخو احشويرش على هذه الاهانة اشعل نار فتنة في بلخية اي بلاد بقطرية الا انه قبض عليه وذبح

امرأة فارسية بلباس البيت تدخن النارجليه
مقتطف يوليو ١٩٢٢
امام الصفحة ١٦٠

امرأة فارسية متأزرة

وقد عرف الجميع حكاية استير وتوسطها لدى احشويرش في خلاص بني قومها اليهود من العطب مما جاء مفصلاً في التوراة

وهذا ارتحشستا الملك الذي مات سنة ٣٥٨ ق.م. كان قد استسلم لنفوذ باريساته المرأة الداهية وبقي طوع ارادتها حتى بعد ان سمّت زوجتهُ ستاتيرا التي كان يحبها كل الحب. وزوج ابنتهُ آتوسا من ابنها الخائر العزيمة الضعيف الارادة جماً القاهُ ومملكتهُ في الطعن والاحن

هذا بعض من عدٍّ من حياة المرأة في عهد الدولة الكيانية ولم تنقص منزلتها في عهد الساسانيين. وكان لافرا هورمزد ام شابور ذو الاكتاف نفوذ على ابنها سخّرتهُ في اضطهاد النصارى. وهذه شيرين الغادة الفارسية كانت حظية كسرى ابروز لا بل مالكة قلبهِ فاضحت موضوعاً تغنى بهِ شعراء بلاد فارس وقد بنى لها كسرى ابروز الصرح الشهير قصر شيرين الوارد ذكرهُ في مقالنا في مقتطف سبتمبر ١٩٢١

وتولت بوران بنت كسرى ابروز عرش الملك وبسطت العدل وامرت بضرب النقود وردم القناطر والجسور وبعثت وفوداً الى ملك الروم يرأسهم بطريرك المدائن ايشوعياب وبعثت اليهِ بخشبة الصليب التي كان قد غنمها اجدادها من اورشليم

وتبوأت العرش اختها آزرميدخت ايضاً ولم يطلْ عهد ملكها اكثر من ستة اشهر فقيل انها ماتت مسمومة وقد سملت عيناها قبل موتها

ويجدر بنا ان نقول كلمةً عن المرأة النصرانية في بلاد الاكاسرة قبل الاسلام فقد اظهرت الشهيدات النصرانيات في ابان الاضطهادات جلداً وثباتاً لا يصدقان وقابلن كل وعد ووعيد بارادة تنم عن نفس سامية وشعور رفيع في سبيل الذود عن مبادئهن ورضين بالعذاب والموت ببسالة يقف امامها المؤرخ ذاهلاً من سمو الروح المسيحي الفارسي

***

جاء الاسلام وقوّض دعائم المجوسية وهدّ ركن الزرادشتية ونشر مبادئهُ في بلاد ماذي وفارس وعند ما دان الايرانيون بالاسلام خضعوا لشرائعهِ فيما يخص المرأة لاسيما وان امر الحجاب مما يتفق مع تقاليدهم القومية. هذا من حيث جوهر النسائيات اما في الاعراض فقد تختلف عاداتهم القومية عن غيرهم من المسلمين في العالم سواء كان في ملبسهم ومأكلهم واعراسهم وعاداتهم في الزواج وغيره

واحسن تعريف لمنزلة المرأة الفارسية عند قومها ما جاء في فصل من فصول كتاب البستان لسعدي الشاعر الفارسي نعرّبهُ للقراء بما يأتي :

«إن الرجل الفقير ملك ان كانت امرأتهُ مطيعة لهُ وعفيفة فلا تحزنك متاعب النهار ان كانت مبدّدة الهموم بجانبك . ومن كانت افكار من أحبّها كافكارهِ فقد نال مبتغيات قلبهِ . ان كانت المرأة عفيفة وعذبة الكلام فلا يلتفت الى حسنها ومذاجتها

« يُرغب في المرأة اللطيفة الاخلاق اكثر مما يرغب في الجميلة اذ اللطف يخفي عدداً من الشوائب فاخفي جنية سوء الخلق فيك

« وقانا الله من المرأة الشريرة !

« فالسجن افضل من بيت تمتلىء بالعبوسة ومن في بيتهِ امرأة فكرتها قبيحة فالسفر سرور لهُ

« اوصد ابواب السعادة عن بيت ترفع فيهِ المرأة صوتها اكثر من زوجها

« ان ذهبت المرأة الى السوق فاضربها والاّ لازم انت بيتك كامرأة

« لتعمَ عيناها في حضور الغريب . واذا ارادت ان تخرج من بيتك دع القبر مصيراً لها

«خذ زوجةً في كل ربيع ايها الصديق. فالنفع من الروزنامة بعد انقضاء السنة

«خير للانسان ان يسير حافياً من ان يلبس أحذية ضيقة وخير لهُ ان يتحمل مضض اليوم من ان يستولي التدابر في بيتهِ » (انتهى)

ان للمرأة الفارسية التي يمثلها سعدي في بستانهِ لا تفرق الاّ بعض الفرق عن اختها اليوم اذ لم تثقف قواها التربية العصرية. ولم تدخل المدارس للتعلم والتهذيب. ما خلا المرأة الطهرانية التي تحسن القراءة والكتابة وشيئاً نزراً من العلوم . وهذا لا يطلق الاّ على فئة قليلة من الطهرانيات . ومهما كان من امر منزلتها في التهذيب والعلم فالفارسية فصيحة اللهجة وان حديثها لهو الرحيقُ المختوم لما تضمنهُ من اللطائف والطرائف والامثال والاشعار وتزيد فصاحةً ان كانت في موقف خشن او انتابها بلية وتريد ان تسترعي الاسماع وتستعطف القلوب

ولها في الحب عاطفة حيّة وشعور يكاد يلتهب بين جوانحها يتجلّى بقصائد الغرام التي تنشدها من دواوين شعراء قومها مما تعلمتهُ من السماع

وان كانت اليوم داخل الاندرون فزوجها لا يشدّد عليها النكير ان خرجت الى السوق او الحمام او السما كما يريد سعدي. وتعقد النساء اجتماعات في الاندرون بمعزل عن عيون الرجال فيغنين ويرقصن ويعزفن بآلات الطرب ويدخن النرجيلة

والحمامات عند الايرانيات ملتقى الصديقات ونوادي النساء يطلن فيها الاقامة ساعات ويتبادلن اطيب الاحاديث ويأكلن الحلويات ويخضبن رؤسهن وانامليهن بالحناء

وتذهب النساء الى المصليات ليستمعن قراءة التعازي في ذكرى موت الحسين لا سيما في عاشوراء

والاقتران شائع في ايران . لا بل هناك زواج عقده موقت وكثير من الرجال الذين يتمدون من نسائهم للاشغال او للزيارة يعقدون نكاحاً موقتاً حسب سنة الشيعة

ويقوم بالخطبة النساء القريبات ويجري الزواج بابهة عظيمة على طراز الحياة الشرقية

ويتشاءم الايرانيون بالايام ويتفاءلون بها . فلا يعقدون زواجاً في محرم ورمضان وعند ما يكون القمر في برج العقرب

وتميل الفارسية الى التبرج والتزين بالثياب والحلى بين ذهب والماس وزبرجد وزمرد وياقوت . اذ الاحجار الكريمة كثيرة في ايران. وتعمد الى تكحيل عينيها وصبغ وجهها وتضميخ جسدها بالدهن والطيب . ومما يحب فيها الوجه المدوّر والشعر الاسود والحاجب المقوّس والهدب الاوطف

تخرج الى الطريق متأزرة ازاراً اسود (چادر) وعلى وجهها برقع اسود او ابيض (روبندا) ولابسة « الجخجور » وهو لباس عبارة سراويل وجوارب قطعة واحدة فتراها في الطريق كأنها شبح اسود من قمة الراس حتى اخمص القدم

والفارسيات ينسجن السجاد في المدن والقرى في خراسان وكردستان وقاشان وبخارى وارزنجان باساليب قديمة ولكن شهرة مصنوعاتهن طبّقت الخافقين لما هي عليه من الاتقان والمتانة وزهو الالوان

مهما كان من امر الايرانية وخضوعها لعوائد التحجب وانزوائها في دار الحريم وتحملها سيطرة الرجل فقد نبغ بين الايرانيات نساء لهن ذكرى في تاريخ السياسة والزعامة لا يستهان بها ولا بأس من ذكر بعضهن

تركان خاتون زوجة ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ — ٤٨٥ هجرية) كانت سبباً لاستقالة وزيره وبعد وفاة زوجها سعت في تنصيب ابنها محمود خلفاً لابيه واقنعت الخليفة المقتدي بان يرسل الى اصفهان من يقبض على بركيارق ابن زوجها من امرأة زبيدة ولكن اخفقت مساعيها

جوهر شاد آغا امرأة شاه رخ ٨٠٧ — ٨٥٠ هجرية) ومن مآثرها بناؤها لجامع نخم في مدينة المشهد من اعمال ايران وهو من اتقن ما جاءنا من آثار البناء من عهد المغول

بعد موت محمد شاه سنة ١٨٤٨ م كان لامرأته جولات في ميدان السياسة

وقد اشتهرت في شيراز حجية بيي خانم امرأة الزعيم الحاج كيوان وكانت تطلق المدافع بيدها على المشاغبين وذلك في منتصف القرن الثامن عشر . وفي سنة ١٨٨٠ كانت امراة حاكمة مقاطعة اذربيجان وبامرتها جيش

وفي منتصف القرن الماضي قامت سلمى الفارسية التي لُقّبت قرة العين وسعت في نشر مذهب البابية بالخطابة والقتال فلقيت حتفها في هذا المضمار وكانت قد خلبت لب الفرس والاوربيين بفصاحتها

ومن الجديرات بالذكر زعيمة النهضة الادبية الحديثة تفرخان بنت كريم خان صاحبة المجلة النسائية « زنان جهان » (العالم النسائي) التي نقتها الحكومة الايرانية مؤخراً من طهران وقد وقع في يدي عدد من مجلتها فوجدتها تعالج المواضيع الاجتماعية والعلمية وترمي الى نهضة بنات وطنها

ورأيي في المرأة الفارسية بعد ان اقمت زمناً في ايران في السنة الماضية ودرست احوال البلاد الاجتماعية ان للفارسية في فطرتها شعلة من لهيب الذكاء لا تطفأ كما ان نار زرادشت خالدة في فكر الفرس القومي. ولقد عجبتُ من امرأة سمعتها في سوق كرمانشاه تقول لرجل من الشرطة كان يؤنبها لخروجها الى السوق بالجوارب والحذاء العصريين وكان ذلك ممنوعاً « اذهب ايها النبي ان نجاح البلاد لا يتأتى من ارجل النساء بل من رؤوس الرجال فان كانت رؤوس رجالنا من امثالك فعلى رقي الوطن السلام »

بغداد يوسف رزق الله غنيمة